

الرسالة الأولى

الرسالة المدنية

في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية



## بسم الله الرحمن الرحيم

قبل أن نعرض للقارىء والقارئة رسالتي « الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى » ، ومقدمة في أصول التفسير ، تلقى الضوء على ترجمة ابن تيمية ، وهذه الترجمة للإمام أبي العباس أحمد بن تيمية الحنبلي رحمه الله ملخصة من كتاب ( جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ) للعلامة خير الدين الشهير بأبن الأولي . ومن « القول الجلي . في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي » للعلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفى البخارى . وما ذكره العلامة الشيخ أبو بكر بن محمد المكي الحنبلي السفلى في الكتاب الأول مانصه :

هو شيخ الإسلام . وحافظ الأنام المجتهد في الأحكام . تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الحنضر ابن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي . وفي تاريخ أربل أن جده سئل عن اسم تيمية فأجاب أن جده حج وكانت امرأته حاملاً ، فلما كان بتيها بلدة قرب تيوك رأى جارية حسنة الوجه قد خرجت من خباء ، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها إليه قال : ياتيمية ياتيمية يعني أنها تشبه التي رأها بتيها فسمى بها .

وقد ولد بخران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق سنة سبع وستين وستمائة ، فأخذ الفقه والأصول عن والده ، وسمع عن خلق كثيرين منهم الشيخ شمس الدين والشيخ زين الدين ابن المنجا والمجد ابن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوى ، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وغنى

بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات ، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من سائر العلوم ، ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله ورد على رؤسائهم وأكابرهم ، ومهر في هذه الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة ، وتضلع في علم الحديث وحفظه حتى قالوا إن كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث ، وأمدّه الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه . وألف في أغلب العلوم التأليفات العديدة . وصنف التصانيف المفيدة في التفسير والفقه والأصول والحديث والكلام والردود على الفرق الضالة والمبتدعة وله الفتاوى المفصلة وحل المسائل المعضلة .

ومن تصانيفه التي تبلغ ثلاثمائة تصنيف ( تعارض العقل والنقل ) أربع مجلدات . والجواب الصحيح رداً على النصارى أربع مجلدات . وشرح عقيدة الأصفهاني مجلد . والرد على الفلاسفة أربع مجلدات . وكتاب إثبات المعاد والرد على ابن سينا . وكتاب ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً والمعجزات والكرامات وكتاب إثبات الصفات مجلد . وكتاب العرش . وكتاب « رفع الملام عن الأئمة الاعلام » وكتاب الوساطة بين الخلق والحق وكتاب الرد على الإمامية رداً على ابن المطهر الحلي في مجلدين كبيرين . وكتاب الرد على القدريّة وكتاب الرد على الاتحادية والحلولية . وكتاب في فضائل أبي بكر وعمر رضى الله عنهما على غيرهما . وكتاب تفضيل الأئمة الأربعة . وكتاب شرح العمدة في الفقه أربع مجلدات . وكتاب الدرّة المضيئة في فتاوى ابن تيمية . وكتاب المناسك الكبرى والصغرى . والصارم المسلول على من سب الرسول . وكتاب في الطلاق . وكتاب في خلق الأفعال . والرسالة البغدادية وكتاب التحفة العراقية . وكتاب إصلاح الراعى والرعية . وكتاب في الرد على تأسيس التقديس للرازى في سبع

مجلدات . وكتاب في الرد على المبتدئ . وكتاب الفرقان . وكتاب منهاج السنة النبوية . وكتاب الاستقامة في مجلدين وغير ذلك

قال الذهبي « وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد ، وترجمه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله : شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علمياً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للأمة وأمرأً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات ، وحصل مالم يحصله غيره ، وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال . وخاطر وقاد إلى مواضع الإشكال مبال . واستبطن منه أشياء لم يسبق إليها ، وبرع في الحديث وحفظه ، فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً ونظر في العقليات وعرف أفعال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين . وأوذى في ذات الله تعالى من المخالفين . وأخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلن الله تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكبت أعداءه وهدى به رجالاً كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته ، وأحيا به الشام بل الإسلام بعد أن كاد يتلثم خصوصاً في كائنة التار وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثل ، فلو حلفت بين الركن والمقام أني مارأيت بعيني مثله وأنه مارأى مثل نفسه لما حثت » انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير : وفي رجب سنة سبعمائة وأربع راح الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى مسجد النارنج وأمر أصحابه وتلامذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها ، فأزال عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً ، وبهذا وأمثاله أبرزوا له العداوة ،

وكذلك بكلامه في ابن عربي وأتباعه فحسد وعودى ، ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا إليه بمكروه وأكثر مانالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ، ولم يتوجه لهم عليه مايشين وإنما أخذوه وحسوه بالخاء كما سيأتى . قيل : ومن جملة أسباب حسبه خوفهم أنه ربما يدعى ويطلب الإمارة ، فلقى أعداؤه عليه طريقاً من ذلك . فحسنوا للأمراء حسبه لسد تلك المسالك .

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه « وكان له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لتونه الذى انفرد به ، وهو عجيب فى استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ولكن الإحاطة لله تعالى غير أنه يغترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقى ، وأما التفسير فسلم إليه .

وكان يكتب فى اليوم والليله من التفسير أو من الفقه أو من الأصولين أو من الرد على الفلاسفة نحواً من أربعة كراريس . وله التأليف العظيمة فى كثير من العلوم ومايبعد أن تأليفه تبلغ خمسمائة مجلد ، وله الباع الطويل فى معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل أن يتكلم فى مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة .

وقد خالف الأربعة فى مسائل معروفة وصنف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة وبقي سنين يفتى بها قام الدليل عنده ، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية ، وكان دائم الابتهاج كثير الاستعانة قوى التوكل ثابت الجأش له أورد وأذكار يديهما لا يداهن ولا يجابى ، محبوباً عند العلماء والصلحاء والأمراء والتجار والكبراء ، وصار بينه وبين بعض معاصريه وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل أفتى فيها بما قامت عنده الأدلة الشرعية ، واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك المغتال ، وتكلم معه بكلام خشن ولم يبهه ، وطلب منه

الدعاء فرغ يديه ودعا دعاء منصف أكثره عليه وغازان يؤمن على دعائه . انتهى  
ملخصاً وأطال في ترجمته .

ونقل في الشذرات عن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وقد سئل عن  
الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأيته ؟ قال : رأيت رجلاً سائر العلوم بين  
عينيه يأخذ ماشاء منه ويترك ماشاء ، فقيل له : فلم لا تناظران ؟ قال : لأنه  
يحب الكلام وأحب السكوت .

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي إلى الحافظ  
الذهبي في أمر الشيخ تقي الدين ابن تيمية مانصه : « فالملوك تتحقق قدره  
وزخارة بحره وتوسعته في العلوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه  
واجتهاده ، وأنه بلغ في ذلك كل المبلغ الذي يتجاوز الوصف . والملوك  
يقول ذلك دائماً وقدره في نفس أكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى  
له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض  
سواه ، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالماخذ الأوفى وغرابة  
مثله في هذا الزمان بل في أزمان ، .

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة ، وأنشوا  
عليه بالثناء الحسن ، وذكروا له كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات  
والعبادات وتجنباً عن البدع وشدة اتباع للسنن وطريق السلف الصالح وأنه لم  
يتزوج حتى مات .

وكان أبيض اللون أسود الرأس واللحية قليل الشيب ، شعره إلى شحمتي  
أذنيه عيناه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال ، بعيد ما بين المنكبين ، جهورى  
الصوت .

وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبعمائة وخمس  
وتسعين في طبقاته ، وفصل أيضاً سيرته وأحواله والثناء عليه .

وقد توفي سنة سبعمائة وثمان وعشرين ، سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام في السجن ، فأخرج إلى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوماً مشهوداً لم يعهد في دمشق مثله ، وبكى الناس بكاءً شديداً وتبركوا بهاء غسله ، واشتد الزحام على نعشه ، ودفن بمقابر الصوفية بعد أن صلوا عليه مراراً وحزر من حضر جنازته من الرجال بياتني ألف ومن النساء بخمسة عشر ألفاً ، وختمت له ختمات كثيرة ، ورثى بقصائد بليغة منها قصيدة الشيخ عمر بن الوردى وهى :

عنا في عرضه قوم سلاط	لهم من نثر جواهره النقاط
تقى الدين احمد خير جنر	خروق العضلات به تخاط
توفى وهو محبوس فريد	وليس له إلى الدنيا انبساط
ولو حضروه حين قضى لالفوا	ملائكة النعيم به احاطوا
قضى نجباً وليس له قرين	ولا لنظيره الف القماط
قضى في علمه اضحى فريداً	وحلّ المشكلات به يناط
وكان إلى التقى يدعو البرايا	وينهى فرقة فسقوا ولاطوا
وكان الجن تفرق من سطاها	بوعظ للقلوب هو السياط
فياته ماقد ضم لحد	وياته ما غطى البلاط
هُم حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد مكروا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى	ولكن في اذاه لهم نشاط
وحبّس الدر في الاصداف فخر	وعند الشيخ في السجن اغتباط
بآل الهاشمى له اقتداء	فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
بنو تيمية كانوا فبانوا	نجوم العلم ادركها انهباط
ولكن ياندامة حابسيه	فشك الشرك كان به يماط

ويافرج اليهود بما فعلتم	فإن الضد يعجبه الخُباط
الم يك فيكم رجل رشيد	يرى سجن الإمام فيستشيط
إمام لا ولاية كان يرجو	ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال	ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيهم سجنتموه وغظتموه	أما لجزا اذيته اشتراط
وسجن الشيخ لايرضاه مثلي	ففيه لقدر مثلكم انحطاط
أما والله لولا كنتم سرى	وخوف الشر لانحل الرباط
وكنتم أقول ماعدى ولكن	بأهل العلم ماحسن اشتطاط
فما أحد إلى الإنصاف يدعو	وكل في هواه له انخرط
سيظهر قصدكم ياحابسيه	وننبئكم إذا نصب الصراط
فها هو مات عنكم واسترحتم	فعاطوا ما اردتم أن تعاطوا
وحلوا واعقدوا من غير رد	عليكم وانطوى ذاك البساط

\* \* \*

وفي الكتاب الثاني بعد ذكر نسبه مانصه « ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستائة ، وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في التفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين ، وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه . له المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنتين . وكان يتوقد ذكاء وسمع من الحديث أكثره . وشيوخه أكثر من مائتي شيخ ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى ، وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه . وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير . وأما معرفته بالملل

والنحل فلا أعلم له فيها نظيراً ، ويدرى جملة صالحة من اللغة العربية وعربيته قوية جداً . وأما معرفته بالتفسير والتاريخ فعجب عجيب « ملخصاً من كلام شيخ الإسلام أبى عبد الله الذهبى فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقى الشافعى

وفيه أيضاً نقلاً عن قاضى القضاة عبد الله التهفتى الحنفى : « أن الشيخ تقى الدين ابن تيمية كان على ما نقل إلينا من الذين عاشروه ، وماطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن القيم الجوزية الذى سارت تصانيفه فى الآفاق عالماً معتنياً مقلاً من الدنيا معرضاً عنها ، متمكناً من إقامة الأدلة على الخصوم وحافظاً لللسنة عارفاً بطرقها عارفاً بالأصلين أصول الدين وأصول الفقه ، قادراً على الاستنباط فى تخريج المعانى ، لا تأخذه فى الله لومة لائم على أهل البدع المجسمة والحلولية والمعتزلة والروافض وغيرهم ، قال فمن كان متصفاً بهذه الأوصاف كيف لا يلقب بشيخ الإسلام بأى معنى أريد منه . قال وإنما قام عليه بعض العلماء فى مسألتى الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه مشهودة والمسألتان المذكورتان ليستا من أصول الأديان وإنما هما من فروع الشريعة التى أجمع العلماء على أن المخطيء فيها مجتهد يثاب لا يكفر ولا يفسق إلى آخر ما قال » .

وقال شيخ الإسلام العينى الحنفى : « وما هم أى المنكرون على ابن تيمية رحمه الله إلا صلقع بلقع سلقع والمكفر منهم صلمعة بن قلمعة . وهيان بن بيان . وهى ابن بى . وضل بن ضل . وضلال بن التلال .

ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الإمام العالم العلامة تقى الدين ابن تيمية من شم عرانيين الأفاضل ومن جم براهين الأمثال . قال وهو الذاب عن الدين . . طعن الزنادقة والملحددين . والناقد للمرويات عن النبى سيد المرسلين . وللمأثورات عن الصحابة والتابعين . فمن قال إنه كافر فهو كافر حقيقة . ومن نسبه إلى الزندقة فهو زنديق . وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه إلى الآفاق وليس فيها شيء مما يُذم أو يعاب . قال : ولا ريب أنه كان شيخاً

لجماعة من علماء الإسلام . وتلاميذه من فقهاء الأنام . فإذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الإسلام ؟ لأن من كان شيخاً للمسلمين يكون شيخاً للإسلام .

وقال الثالث مانصه : « إنه مما شاع وذاع . وملاً الأسماع والبقاع . حال هذا المؤلف الإمام شيخ الإسلام . ومن كان له طول باع . وسعة الاطلاع ، عرف حقيقة الحال . وما كل مايعلم يقال . وقد جرت عادة الله فيمن أراد أن يجعل له لسان صدق في الآخرين أن يمنحه بشيء من كلام الحاسدين ، وكان هذا المؤلف شيخ الإسلام كثيراً ماينشد شعراً :

لو لم تكن لي في القلوب مهابة لم يطعن الأعداء في . ويقدحوا  
كالكليث لما هيب حط له الزبي وعوت لهيبته الكلاب الفئح  
يرمونني شزر العيون لأنني غلست في طلب العلاء وصبحوا

ولو أمكنت الفرصة لأملت جزءاً في فهرست أسماء من ترجمه ، ومن نافع عنه ومن مدحه ، ومن آخرهم السيوطي والسخاوي والعلامة الشيخ ملا علي القاري الحنفي رد على شيخه ابن حجر المكي في شرح الشرائع وقال فيه « ومن طالع شرح منازل السائرين تبين له أنها أي ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كانا من أكابر أهل السنة والجماعة ومن أولياء هذه الأمة » وكذلك رد عليه العلامة الشبراملسي الشافعي في حاشيته على الفتاوى الحديثية ، وكذلك الشيخ إبراهيم الكوراني المدني والشيخ سليمان الكردي المدني الشافعي . ولقد أجاد العلامة صفى الدين البخاري الحنفي نزيل نابلس تلميذ العلامة السيد محمد مرتضى الزبيدي في كتابه « القول الجلي في ترجمة ابن تيمية الحنبلي » . ولقد أجاد العلامة محمد التافلاني مفتي الحنفية بالقدس في تربيظه عليه قال فيه : وقد أثنى عليه جمهور معاصريه ، وجمهور من تأخر عنه وكانوا خير ناصر به . وهم ثقات صيارفة حفاظ ، عريفهم في التقد دونه عريف عكاظ . وطمع فيه بعض

معاصريه بسبب أمور أشاعها لحظ نفسه ، أو لأجل المعاصرة التي لا ينجو من سمها إلا من قد كمل في قدسه ، فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ، ورماء بعظائم موجبة للتعزير والحد ، وقرظ عليه أيضاً العلامة الشيخ عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري شيخ مشايخنا ، ولسنا نذكر كلاماً من مثل الذهبي والبرزالي والمزني وابن كثير لأنه يكفي تلقيهم عنه مدحاً .

ولقد أنصف الشيخ ابن الوردي حيث قال في كتاب « خبر المبتدأ » عند ذكر رحلته إلى دمشق : « وتركت التعصب والحمية ، وحضرت مجالس ابن تيمية فإذا هو بيت القصيدة ، وأول الخريدة . علماء زمانه فلك هو قطبه ، وجسم هو قلبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر ، والبحر على القطر ، بحثت يوماً بين يديه فأصبت المعنى فقبل عيني وكناني فقلت :

إِنَّ ابْنَ تَيْمِيَةَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ أَوْحَدٌ  
أَخْبَيْتُ دِينَ أَحْمَدَ وَشَرَعَهُ يَا أَحْمَدُ

وقد ترجم له في تاريخه ورثاه بالقصيدة الطائية التي جرت مجرى المثل .

قال العلامة ابن شاکر في فوات الوفيات مانصه : قرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضاً يعنى ابن الزملكانى على كتاب ( رفع الملام عن الأئمة الاعلام ) تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحى الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة . قدوة الأمة . علامة العلماء . وارث الأنبياء . آخر المجتهدين . أوحى علماء الدين . بركة الإسلام . حجة الأعلام . برهان المتكلمين . قامع المبتدعين . محمى السنة . ومن عظمت به لله علينا المنة . وقامت به على أعدائه الحجة . واستبان ببركته وهديه المحجة ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية أعلى الله مناره ، وشيد به من الدين أركانه :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر  
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر  
هو آية في الخلق ظاهرة انوارها اربت على الفجر

وقد أشار إلى ذلك أيضاً العلامة الحافظ محمود العيني في تقيظه على الرد  
الوافر وقال فيه أيضاً كما رأيته وذكره في القول الجلي مانصه بعد كلام بليغ :

« وقد سارت تصانيفه إلى الأفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزيف  
والشقاق ، ولم يكن بحثه فيها صدر عنه في مسألتي الزيارة والطلاق ، إلا عن  
اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالتين ماجور ومثاب . وليس فيه شيء  
مما يلام أو يعاب ، وقد أطال هذا الحافظ العيني في ترجمته في تاريخه وكذلك  
العلامة الصفدي في تاريخه بـ ( عنوان النصر في أعيان العصر ) وراثه  
بقصيدة مطلعها :

إن ابن تيمية لما قضى ضاق باهل العلم رحب الفضا

وكذلك العلامة إمام البلاغة أحمد بن فضل الله العمري أطال في ترجمته في  
تاريخه ( مسالك الابصار في ممالك الامصار ) بعبارات بارعة وراثه بقصيدة  
فائقة ربها كانت مطلعها :

اهكذا بالدياجى يحجب القمر ويحبس النوء حتى يذهب المطر

وكذلك العلامة ابن حجر العسقلاني في ( الدرر الكامنة في اهل المائة  
الثامنة ) « وليعلم أن الحنابلة كلهم متفقون على محبة هذا الشيخ وله  
معظمون . وهم لله بذاك يدينون المتقدمون منهم والمتأخرون . وإذا أطلقوا  
شيخ الإسلام فإياه يعنون . وبنقل اختياراته يعنون » . حتى قال صاحب  
الإقناع في خطبته مانصه : « ومرادى بالشيخ شيخ الإسلام بحر العلوم أحمد بن  
تيمية »

وهذا آخر الأصحاب الشيخ محمد بن حميد الشرقى مفتى الحنابلة بمكة المشرفة غفر الله لنا وله . ولا زالت الرحمة عليه نازلة . قد كتب شيئاً كثيراً بخطه في مناقب هذا الشيخ الإمام . ورسم بأن يجعله جامعاً مانعاً في ذلك المرام . فلقد تيمت الحنابلة بموته ، وفقئت عين الأدب بفوته ، وقد ألفت الحنابلة في ذلك قديماً وحديثاً . فمنهم تلميذ المؤلف شيخ الإسلام الحافظ ابن عبد الهادي صاحب المحرر له « العقود الدرية » في نحو خمسة عشر كراساً ، والشيخ مرعى صاحب الغاية والدليل له « الكواكب السنية » باختصار .

فالرسالة الأولى توضح لنا آراء الحنابلة بزعامة ابن تيمية في تفسير صفات الله بشيء من الدقة والتفصيل ، وقد برع ابن تيمية في عرض هذه الرسالة على الرغم من صغر حجمها .

أما الرسالة الثانية فهي تشرح لنا أصول علم التفسير وخاصة عند الحنابلة معتمدين على ماورد في الآيات والأحاديث واجتهاد بعض السلف والأئمة والفرق ، فلهذا نقدم هذه الأعمال بشيء من التحقيق والتعليق ونسأل الله العون والمغفرة والله خير المعين .

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قال شيخ الإسلام<sup>(١)</sup> : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام على جيرانه سكان المدينة الطيبة من الأحياء والأموات ، من المهاجرين والأنصار ، وسائر المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

إلى الشيخ الإمام العارف الناسك شمس الدين ، كتب الله في قلبه الإيمان ، وأيده بروح منه وآتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً ، وجعله من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين ، وخاصته المصطفين ، ورزقه اتباع نبيه باطنا وظاهراً ، واللاحق به في الدنيا والآخرة ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه .

### سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، وأسأله أن يصلى على صفوته من خلقه وخيرته من بريته ، محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ، والحمد لله رب العالمين كثيراً ، كما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز جلاله - وقد وصل ما أرسلتم من الكتب الثلاثة ، ونسأل الله ونرجو منه أن يكون ماقضاه من مرض ونحوه من مصائب الدنيا مبلغاً لدرجات قصر عنها العمل ، وسبق في أم الكتاب أنها ستنال ، وتكون الخيرة فيما اختاره الله لعباده المؤمنين .

وقد علمنا من حيث العموم أن الله لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، ونسأل الله أن يتولاكم بحسن رعايته ويحقق لكم مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٢)</sup> ولا حول ولا قوة إلا به ، مع أننا نرجو أن تكون رؤية التقصير وشهادة التأخير عن نعمة الله على عبده المؤمن التي يستوجب بها التقدم ، ويتم

(١) المقصود به ابن تيمية .

(٢) هـ ك الفاتحة ١

له بها النعمة ، ويكفى بها مؤونة شيطانه المزين له سوء عمله ، ومؤونة نفسه التي تحب أن تحمد بما لم تفعل ، وتفرح بما أتت ، وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآتُوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (١) .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف الا يقبل منه » (٢) وفي أثر أظنه عن عمر أو ابن مسعود (٣) من قال إنه مؤمن فهو كافر ، ومن قال إنه في الجنة فهو في النار . وقال : والله الذي لا إله غيره مامن أحد على إيمان ويسليه عند الموت إلا يسلبه .

وقال ابو العالية (٤) أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق ؛ وقال الصديق رضی الله عنه : إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ؛ وذكر أهل النار فذكرهم بأقبح أعمالهم ، فيقول الرجل أين أنا من هؤلاء - يعني وهو منهم - هذا الكلام أو قريباً منه - فليبرد القلب من حرارة هذه الشهادة إنها سبيل مهيع لعباد الله الذين أطبق شهداء الله في أرضه أنهم كانوا من الله بالمكانة العالية ، مع أن الأزدباد من هذه الشهادة هو النافع من الأمر الغالب ما لم يفض إلى تسخط للمقدور وإياس من روح الله ، أو فتور عن الرجاء . والله تعالى يتولاكم ولا يكلكم إلى أحد غيره .

(١) سورة المؤمنون الآيات ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) ورد في صحيح البخارى ومسلم .

(٣) هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدرين ومن نبلأ الفقهاء المقرئين ، وكان ممن يتحرى في الأداء ويشدد في الرواية ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ ، وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى ، مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ .

(٤) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصرى أدرك وأسلم بعد الوفاة بستين . قال أبو بكر بن أبى إدريس : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبى العالية وبعده سعيد بن جبير وبعده السدى وبعده سفيان الثورى مات سنة ٩٢ هـ .

وأما ما ذكرت من الأسباب الأربعة التي لا بد فيها من صرف الكلام من حقيقته إلى مجازه ، فأنا أذكر ملخص الكلام الذي جرى بيني وبين بعض الناس في ذلك ، وهو ما حكيت لك وطلبتك ، وكان إن شاء الله لك ولغيره منفعة على ما في الحكاية من زيادة ونقص .

**قال لي بعض الناس :** إذا أردنا أن نسلك طريق سبيل السلامة والسكوت ، وهي الطريقة التي عليها السلامة قلنا قال الشافعي<sup>(١)</sup> رضى الله عنه : أمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وأمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ ، وإذا سلكتنا طريق البحث والتحقيق فإن الحق مذهب من يتأول آيات الصفات وأحاديث الصفات من المتكلمين .

**فقلت له :** أما ما قال الشافعي فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة . وأما إذا بحث الإنسان وفحص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذي يخالفون به أهل الحديث كله باطلاً ، وتيقن أن الحق مع أهل الحديث باطناً وظاهراً . فاستعظم ذلك وقال : أتحب لأهل الحديث أن يتناظروا في هذا فتواعدنا يوماً ، فكان فيما تفاوضناه أن أمهات المسائل التي خالف فيها متأخرو المتكلمين ممن ينتحل مذهب الأشعري<sup>(٢)</sup> لأهل الحديث مسائل ، وصف الله بالعلو على العرش ، ومسألة القرآن ، ومسألة تأويل الصفات .

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبى المكي نزيل مصر إمام الأئمة وقُدوة الأمة ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ، روى عن عمه محمد بن علي وأبي أسامة وسعيد بن سالم القداح وابن عيينة ومالك وابن عليه وابن أبي فديك ، يطلق عليه سيد الفقهاء مات سنة ٢٠٤ هـ .

(٢) هم أصحاب أبي الحسن علي بن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنهما ، مات أبو الحسن الأشعري سنة ٣٢٤ هـ ، ومن أشهر كتبه مقالات الإسلاميين . اختلاف المصلين ، والإبانة عن أصول الديانة .

**فقلت له :** نبدأ بالكلام على مسألة تأويل الصفات فإنها الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ، ويؤمن بها وتصدق وتضان عن تأويل يفضى إلى تعطيل ، وتكييف يفضى إلى تمثيل ، وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف منهم الخطابي<sup>(١)</sup> مذهب السلف أنها تجرى على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، يحتذى حذوه ، ويتبع فيه مثاله فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية فنقول : إن له يداً وسمعاً ولا نقول إن معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم .

**وقلت له :** وبعض الناس يقول مذهب السلف أن الظاهر غير مراد ، ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد وهذه العبارة خطأ إما لفظاً لا معنى ، لأن الظاهر قد صار مشتركاً بين شيئين :

**أحدهما :** أن يقال إن اليد جارحة مثل جوارح العباد ، وظاهر الغضب غليان القلب لطلب الانتقام ، وظاهر كونه في السوء أن يكون مثل الماء في الظرف ، فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين نعوت المحدثين غير مراد من الآيات والأحاديث فقد صدق وأحسن ، إذ لا يختلف أهل السنة أن الله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾<sup>(٢)</sup> لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة لكن هذا القائل أخطأ حيث ظن أن هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والأحاديث .

(١) هو الإمام العلامة المفيد الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم بن خطاب البستي صاحب التصانيف ، سمع أبا سعيد بن الأعرابي وأبا بكر بن داسة والأصم ، ومنه الحاكم وصف شرح البخارى ومعالم السنن وغريب الحديث وشرح الأسماء الحسنى والعزلة ، مات ببست سنة ٣٨٨ هـ .

(٢) ١١ ك الشورى ٤٢

وحيث حكى عن السلف<sup>(١)</sup> ما لم يقولوه ، فإن ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع ، وقد يكون سياق الكلام وليست هذه المعاني المحدثة المستحيلة على الله تعالى هي السابقة إلى عقل المؤمن بل اليد عندهم كالعلم والقدرة والذات ، فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضاً تدل على حدوثنا يمتنع أن يوصف الله تعالى بمثلها ، فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجسام محدثة لا يجوز أن يوصف الله تعالى بمثلها .

ثم لم يقل أحد من أهل السنة إذا قلنا إن الله علماً وقدره وسمعاً وبصراً ، أن ظاهره غير مراد ثم نفسه بصفاتنا ، فكذلك لا يجوز أن يقال إن ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ماهو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم . ومن قال إن ظاهر شيء من أسائه وصفاته غير مراد فقد أخطأ لأنه مامن اسم يسمى الله به إلا والظاهر الذى يستحقه المخلوق غير مراد به ، فكان قول هذا القائل يفضى إلى أن يكون جميع أسائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ، ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الفساد .

**والمعنى الثانى :** أن هذه الصفات إنما هي صفات الله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله ، نسبتها إلى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء إلى ذاته ، فيعلم أن العلم صفة ذاتية للموصوف وله خصائص ، وكذلك الوجه ولا يقال إنه مستغن عن هذه الصفات ، لأن هذه الصفات واجبة لذاته ، والإله المعبود سبحانه هو المستحق لجميع هذه الصفات .

وليس غرضنا الآن الكلام مع نفاة الصفات مطلقاً وإنما الكلام مع من يثبت بعض الصفات ، وكذلك فعله ، فعلم أن الخلق هو إبداع الكائنات من

(١) هذا واضح فى الملل والنحل .

العدم ، وإن كنا لا نكيف ذلك الفعل ، ولا يشبه أفعالنا ، إذ نحن لا نفعل إلا حاجة إلى الفعل والله غنى حميد . وكذلك الذات تعلم من حيث الجملة وإن كانت لا تماثل الذوات المخلوقة ، ولا يعلم ماهى إلا هو ولا يدرك لها كيفية . فهذا هو الذى يظهر من إطلاق هذه الصفات ، وهو الذى يجب أن تحمل عليه .

فالمؤمن من يعلم أحكام هذه الصفات ، وهو الذى أريد منه فيعلم أن الله تعالى على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، وأن المؤمنين ينظرون إلى وجه خالقهم فى الجنة ويتلذذون بذلك لذة يتغمس فى جانبها جميع اللذات ، ونحو ذلك كما يعلم أن له رباً وخالقاً ومعبوداً ، ولا يعلم كنه شيء من ذلك ، بل غاية علم الخلق هكذا ، يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه . وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب .

**قلت له :** أفيجوز أن يقال : إن الظاهر غير مراد بهذا التفسير؟

**فقال :** لا يمكن هذا . فقلت له : من قال : إن الظاهر غير مراد بمعنى أن صفات المخلوقين غير مرادة ، قلنا له أصبت فى المعنى لكن أخطأت فى اللفظ ، وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية<sup>(١)</sup> طريقاً إلى غرضهم ، وكان يمكنك أن تقول : تمر كما جاءت على ظاهرها ، مع العلم بأن صفات الله تعالى ليست كصفات المخلوقين ، وأنه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوثه أو نقضه . ومن قال : الظاهر غير مراد بالتفسير الثانى ، وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة<sup>(٢)</sup> والأشعرية وغيرهم فقد أخطأ . ثم أقرب هؤلاء الجهمية

---

(١) هم أصحاب جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذى قتله خالد بن عبد الله القسرى سنة ١٢٤ هـ على الزندقة والإلحاد ، والجعد أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عز صفاته .

(٢) يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية وهم قد جعلوا لفظ القدريه مشتركاً .

الأشعرية يقولون : إن له صفات سبع : الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر وينفون ماسواها ، وغلاتهم يقطعون بنفى ماسواها . وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات مطلقاً ويثبتون أحكامها وهي ترجع عند أكثرهم إلى أنه عليم قدير .

وأما كونه مريداً متكلماً ، فعندهم أنها صفات حادثة أو إضافية أو عدمية ، وهم أقرب الناس إلى الصابئين الفلاسفة من الروم ومن سلك سبيلهم من العرب والفرس ، حيث زعموا أن الصفات كلها ترجع إلى سلب أو إضافة ، أو مركب من سلب وإضافة . فهؤلاء كلهم ضلال مكذبون للرسل ومن رزقه الله معرفة ماجاءت به الرسل . وبصراً ناقداً ، وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء ، علم قطعاً أنهم يلحدون في أسماؤه وآياته ، وأنهم كذبوا بالرسل والكتاب وبما أرسل به رسله . ولهذا كانوا يقولون : البدع مشتقة من الكفر وأيلة إليه .

ويقولون إن المعتزلة مخانيث الجهمية والفلاسفة ، والأشعرية مخانيث المعتزلة . وكان يحيى بن عمار<sup>(١)</sup> يقول : المعتزلة الجهمية الذكور ، والأشعرية الجهمية الإناث ، ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخيرية . وأما من قال منهم بكتاب الإبانة الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك ، فهذا يعد من أهل السنة ، لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لاسيما وأنه بذلك يوهم حسناً بكل من انتسب هذه النسبة ، وتفتح بذلك أبواب شر .

والكلام في هؤلاء الذين ينفون ظاهرها بهذا التفسير .

**قلت له :** إذا وصف الله نفسه بصفة ، أو وصفه بها رسول ﷺ أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرائتهم فصرها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه وتعالى ، وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ، ومجاز يخالف الحقيقة ، لا بد فيه من أربعة أشياء :

( ١ ) له ذكر في كتاب الفهرست لابن النديم .

**أحدها :** أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى ، لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا بلسان العرب ، ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب ، أو خلاف الألسنة كلها ، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازى مما يراد به اللفظ وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى ناسخ له وإن لم يكن له أصل فى اللغة .

**الثانى :** أن يكون معه دليل يوجب صرفه اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، وإلا فإذا كان يستعمل فى معنى بطريق الحقيقة ، وفى معنى بطريق المجاز لم يجوز حمله على المجازى بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء . ثم ان أدعى وجوب صرفه عن الحقيقة ، فلا بد من دليل قاطع عقلى أو سمعى يوجب الصرف . وان ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز .

**الثالث :** أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض ، وإلا فإذا قام دليل قرآنى أو إيمانى يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها . ثم إن كان هذا الدليل نصاً لم يلتفت إلى نقيضه ، وإن كان ظاهراً فلا بد من الترجيح .

**الرابع :** أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضح حقيقته ، فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه ، سواء عينه أو لم يعينه ، لاسيما فى الخطاب العلمى الذى أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح . فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن ﴿ نُورًا وَهُدًى ﴾ (١) ﴿ وَبَيَانًا لِلنَّاسِ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) وأرسل الرسل لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

ثم هذا الرسول الأمى العربى بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات . ثم الأمة التى أخذت عنه كانت أعمق الناس علماً ، وأنصحهم

(١) م الأنعام ٦

(٢) ك يونس ١٠

للأمة ، وأبينهم للسنة ، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلاً يمنع من حمله على ظاهره ، إما بأن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ <sup>(١)</sup> فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يوتاه مثلها . وكذلك قوله ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> يعلم المستمع أن المراد أن الخالق لا يدخل في هذا العموم ، أو سمعياً ظاهراً ، مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعضها الظواهر ، ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفى لا يستنبطه إلا أفراد الناس سواء كان سمعياً أو عقلياً ، لأنه إذا تكلم بالكلام الذى يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة وخاطب به الخلق كلهم - وفيهم الذكى والبليد ، والفقيه وغير الفقيه ، وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجهه ، ثم أوجب أن لا يقصدوا بهذا الخطاب شيئاً من ظاهره ، لأن هناك دليلاً خفياً يستنبطه أفراد من الناس يدل على أنه لم يرد ظاهره ، كان تدليساً وتبليساً ، وكان ينقض البيان وضد العدى ، وهو بالألغاز والأحاجى . أشبه منه بالهدى والبيان . فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفى على أن الظاهر غير مراد ؟ كيف إذا كان ذلك الخفى شبهة ليس لها حقيقة ؟ .

فسلم لى ذلك الرجل هذه المقامات :

قلت : ونحن نتكلم على صفة من الصفات ، ونجعل الكلام فيها أنموذجاً يحتذى عليه ، ونعبر بصفة اليد ، وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقال تعالى لا إبليس ﴿ مَمنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي ﴾ <sup>(٤)</sup> وقال تعالى ﴿ وَمَاقْدِرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،

(١) ٢٣ ك النمل ٢٧

(٢) ٦٢ ك الزمر ٣٩

(٣) ٦٤ م المائدة ٥

(٤) ٧٥ ك ص ٣٨

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) وَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمَلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ (٤) وقد تواتر في السنن مجيء اليد في حديث النبي ﷺ .

فالمفهوم من هذا الكلام أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله ، وأنه سبحانه وتعالى خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس ، وأنه سبحانه وتعالى يقبض الأرض ويطوى السموات بيده اليمنى ، وأن يديه مهبسوطتان ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء ، لما كان الجود في الغالب يكون بسط اليد ومدها ، وتركه يكون ضمًا لليد إلى العنق ، صار من الحقائق العرفية إذا قيل هو مهبسوط اليد ، فهم منه يد حقيقة ، وكان ظاهره الجود والبخل كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٥) ويقولون فلان جعد البنان وسبط البنان .

**قلت له :** فالقاتل إن زعم أنه ليس له يد من جنس أيدي المخلوقين ، وأن يده ليست جارحة ، فهذا حق ، وإن زعم أنه ليس له صفات زائدة على الصفات السبع ، فهو مبطل فيحتاج إلى تلك المقامات الأربعة .

**أما الأول فيقول :** إن اليد بمعنى النعمة والعطية ، سمى الشيء باسم سببه كما يسمى المطر والنبات ساء . ومنه قولهم لفلان أياد عندي ، وقول أبي طالب لما فقد النبي ﷺ :

**يارب رد زاكبي محمداً رده على واصطنع عندي يدا**

( ١ ) ٦٧ ك الزمر ٣٩

( ٢ ) ١ ك الملك ٦٧

( ٣ ) م آل عمران ٣

( ٤ ) ٧١ ك يس ٣٦

( ٥ ) ٢٩ ك الإسراء ١٧

**وقول عروة بن مسعود<sup>(١)</sup> لأبي بكر يوم الحديبية :** لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك . وقد تكون اليد بمعنى القدرة تسمية للشيء باسم مسببه ، لأن القدرة هي تحرك اليد ، يقولون فلان له يد في كذا وكذا .

**ومنه قول زياد<sup>(٢)</sup> لمعاوية ،** إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ويدي الأخرى فارغة ، يريد نصف قدرتي ضبط العراق ومنه قوله ﴿ **بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ** ﴾<sup>(٣)</sup> والنكاح كلام يقال ، إنها معناه أنه يقدر عليه . وقد يجعلون إضافة الفعل إليها إضافة الفعل إلى الشخص نفسه ، لأن غالب الأفعال لما كانت باليد جعل ذكر اليد إشارة إلى أنه فعل بنفسه قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ** ﴾<sup>(٤)</sup> إلى قوله ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ** ﴾<sup>(٥)</sup> لأن بعض ما قدموه كلام تكلموا به ، وكذلك قوله ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ** ﴾<sup>(٦)</sup> إلى قوله ﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ** ﴾<sup>(٧)</sup> والعرب تقول يداك أو كتنا ، وفوك نفخ توبيخا لكل من جر على نفسه جريرة لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وفمه .

**قلت له :** ونحن لا ننكر لغة العرب التي نزل بها القرآن في هذا كله ، والمتأولون للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وألحدوا في أسماؤه وآياته تأولوا

(١) ورد هذا بالتفصيل في السيرة النبوية لابن هشام

(٢) هو زياد بن أبيه أو زياد بن سمية أو زياد بن أبي سفيان .

(٣) ٢٣٧ م البقرة ٢

(٤) ١٨١ م آل عمران ٣

(٥) ١٨٢ م آل عمران ٣

(٦) ٥٠ م الأنفال ٨

(٧) ٥١ م الأنفال ٨

قوله ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله ﴿ **لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي** ﴾ <sup>(٢)</sup> على هذا كله فقالوا بقدرته ، وقالوا اللفظ كناية عن نفس الجود من غير أن يكون هناك يد حقيقة ، بل هذه اللفظة قد صارت حقيقة في العطاء والجود وقوله ﴿ **لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي** ﴾ أى خلقته أنا وإن لم يكن هناك يد حقيقة .

قلت له : فهذه تأويلاتهم ؟ قال نعم .

قلت له : فننظر فيما قدمناه :

**المقام الأول :** أن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في

القدرة ، لأن من لغة القوم استعمال الواحد الجمع كقوله ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾ <sup>(٣)</sup> ولفظ الجمع في الواحد كقوله : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ** ﴾ <sup>(٤)</sup> ولفظ الجمع في الاثنین كقوله ﴿ **صَنَعْتَ قُلُوبِكُمَا** ﴾ <sup>(٥)</sup> أما استعمال اللفظ الواحد في الاثنین والاثنین في الواحد فلا أصل له ، لأن هذه الألفاظ عدد وهى نصوص في معناها لا تجوز فيها ، فلا يجوز أن يقول عندي رجل ويعنى رجلين ، ولا عندي رجلان وهو يعنى به الجنس لأن الاسم الواحد يدل على الجنس ، والجنس في الواحد شائع .

وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس ، واجنس يحصل بحصول الواحد فقوله : ﴿ **لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي** ﴾ <sup>(٦)</sup> لا يجوز أن يريد به القدرة لأن القدرة صفة واحدة ، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد . ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى فلا يجوز أن يعبر عن النعم التى لا تحصى بصيغة التثنية . ولا يجوز أن يكون لما خلقت أنا لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد

(١) م ٦٤ م المائة ٥

(٢) ٧٥ ك ص ٣٨

(٣) ٢ ك العصر ١٠٣

(٤) م آل عمران ٣

(٥) ٤ ك التحريم ٦٦

(٦) ٧٥ ك ص ٣٨

فتكون إضافة اليد إضافة له إلى الفعل كقوله ﴿بِمَا قَدَمْت يَدَاكَ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿وقدمت أيديكم﴾<sup>(٢)</sup> ومنه قوله : ﴿مما عملت أيدينا أنعاماً﴾<sup>(٣)</sup> أما إذا أضافوا الفعل إلى الفعل ، وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ فإنه نص في أنه فعل الفعل بيده .

ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقول فعلت هذا بيدي ، أو فلان فعل بيديه إلا وقد يكون فعله بيديه حقيقة ولا يجوز أن يكون لا يد له أو يكون له يد والفعل وقع بغيرها . وهذا الفرق المحقق بين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، ويبين أن الآيات لا تقبل المجاز ألبتة من جهة نفس اللغة .

**قال لى :** فقد أوقعوا الاثنين موقع الواحد في قوله ﴿ألقيا في جهنم﴾<sup>(٤)</sup> وإنما هو خطاب للواحد .

**قلت له :** هذا ممنوع ، بل قوله ( ألقيا ) قد قيل تثنية الفاعل كتثنية الفعل . والمعنى ألق ألق ، وقيل إنه خطاب للسائق والشهيد ومن قال إنه خطاب للواحد قال إن الإنسان يكون معه اثنان :

**أحدهما :** عن يمينه والآخر عن شماله ، فيقول خليلي فإنه يوقع هذا الخطاب وإن لم يكونا موجودين كأنه يخاطب موجودين . فقوله ( ألقيا ) عند هذا القائل إنما هو خطاب مع اثنين يقدر وجودهما . فلا حجة فيه ألبتة .

**قلت له :** المقام الثاني : أن يقال : هب أنه يجوز أن يعنى باليد حقيقة اليد ، وأن يعنى بها القدرة والنعمة ، ويجعل ذكرها كناية عن الفعل ، لكن ما الموجب لصفه عن الحقيقة ؟ فإن قلت لأن اليد هي الجارحة وذلك ممنوع على الله سبحانه .

(١) م الحج ٢٢

(٢) م البقرة ٢

(٣) ٧١ ك يس ٣٦

(٤) ٢٤ ك ق ٥٠

قلت لك : هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بأن له يداً من جنس أيدي المخلوقين وهذا الأريب فيه ، لكن لا يحيله أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ماتستحق الذات . قال ليس في العقل والسمع ما يحيل هذا .

قلت : فإذا كان ممكناً وهو حقيقة اللفظ فلم ينصرف عنه إلى مجازه ، وكل ما يذكره الخصم من دليل يدل على امتناع وصفه بما يسمى به ، وصحت الدلالة فيسلم له أن المعنى الذى يستحقه المخلوق منتف عنه وإنما حقيقة اللفظ وظاهره يد يستحقها الخالق كالعلم والقدرة بل كالذات والوجود .

**المقام الثالث : قلت له بلغك أن في كتاب الله أو في سنة رسوله أو عن أحد**

من أئمة المسلمين أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهره ، والظاهر غير مراد ؟ وهل في كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة أو دلالة خفية ؟

فإن أقصى ما يذكره المتكلم ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup> وهؤلاء الآيات إنما يدلن على انتفاء التجسيم والتشبيه . أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه .

وكذلك هل في العقل ما يدل دلالة ظاهرة أن البارئ لا يدل له ألبتة تليق بجلاله ولا تناسب المحدثات ؟ .

فإذا لم يكن في السمع ولا في العقل ما ينفي حقيقة اليد ألبتة وإن فرض ما ينافيها فإنها هوى الوجوه الخفية عند من يدعيه ، وإلا ففي الحقيقة إنما هوشبهة فاسدة فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد ، وأن الله خلق بيده ،

( ١ ) ك الإخلاص ١١٢

( ٢ ) ك الشورى ٤٢

( ٣ ) ك مريم ١٩

وأن يديه مسوطتان ، وأن الملك بيده ، وفي الحديث مالا يحصى ، ثم إن رسول الله ﷺ وأولى الأمر لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقة ولا ظاهره حتى ينشأ جهم بن صفوان بعد انقراض عصر الصحابة فيبين للناس منازل إليهم على نبيهم ويتبعه عليه بشر بن غياث ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق ؟

وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا ﷺ كل شيء حتى الخراء ويقول : « ماتركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به »<sup>(١)</sup> « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك »<sup>(٢)</sup> ثم يترك الكتاب المنزل عليه ، وستة الغراء مملوءة مما يزعم الخصم أن ظاهره تشبيه وتجسيم ، وأن اعتقاد ظاهره ضلال ، وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه ، وكيف يجوز للسلف أن يقولوا أمروها كما جاءت مع أن معناها المجازى هو المراد ، وهو شيء يفهمه الأعراب حتى يكون أبناء فارس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار ؟

**المقام الرابع : قلت له :** أنا أذكر لك من الأدلة الكلية القاطعة الظاهرة ما يبين لك أن الله يدين حقيقة ، فمن ذلك تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة وامتناعهم عن التكبر عليه فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته أو مجرد إضافة خلقه إنه لشاركه في ذلك إبليس وجميع المخلوقات .

**قال لي :** فقد يضاف الشيء إلى الله على سبيل التشريف كقوله : ناقة الله ، وبيت الله .

**قلت له :** لا تكون الإضافة تشريفاً حتى يكون في المضاف معنى أفرده عن غيره ، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البيانات ما امتازوا به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة ، والأمر هنا كذلك ، فإضافة خلق آدم إليه أنه خلقه بيده توجب أن يكون خلقه بيده وأنه قد فعله بيده وخلق هؤلاء بقوله

( ١ ) ورد في صحيح البخارى

( ٢ ) ورد في صحيح مسلم

﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(١)</sup> كما جاءت به الآثار .

ومن ذلك أنهم إذا قالوا : بيده الملك ، أو عملته يدك فهذا شيثان :

أحدهما : إثبات اليد .

**والثاني :** إضافة الملك والعمل إليهما ، والثاني يقع فيه التجوز كثيراً . أما الأول فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا بجنس له يد حقيقة . ولا يقولون يد الهواء ولا يد الماء . فهب أن قوله ﴿ بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾<sup>(٢)</sup> قد علم منه أن المراد بقدرته ، لكن لا يجوز ذلك إلا لمن له يد حقيقة . والفرق بين قوله تعالى لما ﴿ خَلَقْتُ بِيَدِي ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾<sup>(٤)</sup> من وجهين :

**أحدهما :** أنه هنا أضاف الفعل إليه ، وبين أنه خلقه بيده ، وهناك أضاف الفعل إلى الأيدي .

**الثاني :** أن من لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية إذا أمن اللبس ، كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾<sup>(٦)</sup> أى قلبكما ، فكذلك قوله ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ .

وأما السنة فكثيرة جداً مثل قوله ﷺ « المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا »<sup>(٧)</sup> رواه مسلم ، وقوله ﷺ « يمين الله ملأى لا يغيضها

(١) ٧٣ ك الأنعام ٦

(٢) ١ ك الملك ٦٧

(٣) ٧٥ ك ص ٣٨

(٤) ٧١ ك يس ٣٦

(٥) ٣٨ م المائدة ٥

(٦) سورة التحريم الآية ٤ .

(٧) وورد في صحيح البخارى أيضاً .

نفقة سخاء الليل والنهار . ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فإنه لم يفض ما في يمينه . والقسط بيده الاخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامة» (١) رواه مسلم (٢) في صحيحه والبخارى (٣) فيما أظن . وفي صحيحه أيضاً عن أبي سعيد الخدرى (٤) رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزته بيديه في السفر» (٥)

وفي الصحيح أيضاً عن ابن عمر (٦) يحكى رسول الله ﷺ قال « ياخذ الرب عز وجل سمواته وأرضه بيديه - وجعل يقبض بيديه ويبسطهما - ويقول انا الرحمن حتى نظرت إلى المنبر يتحرك اسفل منه حتى إنى اقول اساقط برسول الله» (٧) وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر ﴿ وماقدروا الله حق

(١) ورد في صحيح مسلم

(٢) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري صاحب الصحيح ، وروى عن قتبية وعمرو الناقد وابن المنى وابن يسار وأحمد ويحيى وإسحاق ، نفاة مات سنة ٢٦١ هـ .

(٣) هو البخارى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجمعى مولاهم الحافظ العلم صاحب الصحيح ، روى عن الإمام أحمد وإبراهيم بن المنذر وابن المدينى وآدم بن أبى إياس وقتيبة ، وعنه مسلم والترمذى وإبراهيم الحريرى وابن أبى الدنيا وأبو حاتم والمحاثل والغربرى ، له عدة مصنفات منها التاريخ الكبير والأدب المفرد والقراء خلف الإمام ، ولد سنة ١٩٤ هـ ومات سنة ٢٥٦ هـ .

(٤) هو أبو سعيد الخدرى سعد بن مالك الأنصارى الخزرجى المدينى ، كان من علماء الصحابة ، ومن شهد بيعة الشجرة ، روى حديثاً كثيراً ، وأفتى مدة مات سنة ٥٤ هـ .

(٥) ورد في صحيح البخارى .

(٦) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوى المدينى الفقيه ، أحد الاعلام في العلم والعمل ، شهد الخندق وهو من أهل بيعة الرضوان ، ومن كان يصلح للخلافة فممن لذلك يوم الحكمين . ووصفه بالصلاح ، مات سنة ٧٤ هـ .

(٧) ورد في صحيح البخارى .

قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴿<sup>(١)</sup> قال يقول « أنا الله أنا الجبار » وذكره . وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة <sup>(٢)</sup> رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : « أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » <sup>(٣)</sup> وما يوافق هذا من حديث الجبر ، وفي حديث صحيح « إن الله لما خلق آدم قال له - ويداها مقبوضتان - اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا ربى يمين مباركة ، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته » <sup>(٤)</sup> .

وفي الصحيح « أن الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق إن رحمتى غلبت غضبى » <sup>(٥)</sup> وفي الصحيح أنه « لما تحاج آدم وموسى قال آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ونفخ فيك من روحه » <sup>(٦)</sup> وفي حديث آخر أنه قال سبحانه « وعزتي وجلالى لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فيكون » <sup>(٧)</sup> وفي حديث آخر في السنن « لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه استخرج منه ذريته فقال هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره بيده الأخرى فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون » <sup>(٨)</sup> .

- 
- (١) ٩١ م الأنعام ٦ .
  - (٢) ورد في صحيح البخارى .
  - (٣) ورد في سنن ابن ماجه .
  - (٤) ورد في صحيح مسلم .
  - (٥) ورد في صحيح البخارى .
  - (٦) ورد في سنن ابن ماجه .
  - (٧) ورد في سنن البيهقى .
  - (٨) ورد في المعجم المقهرس لألفاظ الحديث .

فذكرت له هذه الأحاديث وغيرها ثم قلت له : هل تقبل هذه الأحاديث  
تأويلًا أو هي نصوص قاطعة ؟ .

وهذه أحاديث تلقنتها الأمة بالقبول والتصديق ونقلتها قطراً من بحر غزير .  
فاظهر الرجل التوبة وتبين له الحق .

فهذا الذي أشرت إليه أحسن الله إليك - أن أكتبه وهذا باب واسع . ومن  
لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ومن يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضل فلن تجد  
له ولياً مرشداً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله على محمد وآله  
وصحبه وسلم .

## وسئل رحمة الله

عن قوله ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل « وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته » مامعنى تردد الله ؟ (١) .

**فاجاب :** هذا حديث شريف رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وهو أشرف حديث روى فى صفة الأولياء . وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا : إن الله لا يوصف بالتردد ، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله عالم بالعواقب . وربما قال بعضهم إن الله يعامله معاملة المتردد .

والتحقيق أن كلام رسول الله حق ، وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح لأمته منه ، ولا أفصح ولا أحسن بيانا منه ، فإذا كان كذلك كان المتحدلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوأهم أدباً . بل يجب تأديبه وتعزيره ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة . والمتردد منا - وإن كان تردده فى الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور - لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا ، فإن الواحد منا قد يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب ، وتارة لما فى الفعلين من المصالح والمفاسد . فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة لا لجهله به ، كالشئء الواحد الذى يجب من وجه ويكره من وجه ، كما قيل :

**الشيب كره واكره أن افارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب**  
وهذا مثل إرادة المريض للدواء الكريه ، بل جميع ما يريد العبد من الأعمال الصالحة التى تكرهها النفس هو من هذا الباب . وفى الصحيح « حفت الجنة

(١) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

بالمكراه وحفت النار بالشهوات ،<sup>(١)</sup> وقال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَّكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في الحديث فإنه قال « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه »<sup>(١)</sup> فإن العبد الذى هذا حاله صار محبوباً للحق محباً له ، يتقرب إليه أولاً بالفرائض وهو يحبها ، ثم اجتهد في النوافل التى يحبها ويحب فاعلها ، فأتى بكل مايقدر عليه من محبوب الحق ، فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة ، وبحيث يحب مايجبه محبوبه ، ويكره مايكرهه محبوبه .

والرب يكره أن يسيء عبده ومحبوبه ، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه . والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت ، فكل ما قضى به فهو يريده ولايد منه . فالرب يريد لموته ، لما سبق به قضاؤه . وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ، وهى المساءة التى تحصل له بالموت .

فصار الموت مراداً للحق من وجه مكروهاً له من وجه . وهذا حقيقة التردد . وهو أن يكون الشيء الواحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه . وإن كان لايد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت ، لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده . وليس إرادته المؤمن الذى يحبه ويكره مساءته كإرادته . لموت الكافر الذى يبغضه ولا يريده .

انتهى كلامه رحمه الله .

(١) ورد في صحيح مسلم

(٢) ٢١٦ م البقرة ٢

(٣) ورد في صحيح البخارى وسنن البيهقى وابن ماجه والدار قطنى .